قوله تعالى وان كنتم في ريب اي ان كنتم في شك لان الله علم انهم شاكون مما نزلنا
على عبدنا اي محمد صلى الله عليه وسلم لما قرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى
وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا ند اتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرءان معجزة وانه من عند الله لا من عنده نفسه كما يدعون
فيه وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرءان منزل عليه من عند
الله سبحانه وتعالى فاتوا اي امر تعجيز بسورة والسورة قطعة من القرءان معلومة الاول
والاخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه فسميت سورة
لان القارئ ينال بها المنزلة الرفيعة حتى يستكمل المنازل باستكماله سور القرءان من مثله
اي مثل هذا القرءان وقيل الضمير في مثله راجع الى عبدنا يعني من مثل محمد صلى الله عليه وسلم
اي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم ياخذ العلم عن احد ورد الضمير الى القرءان اوجه
ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الايات الواردة في التحدي وايضا وقع الكلام في المنزل
لا في المنزل عليه وانه لو ارتبتم في ان القرءان منزل من عند الله فاتوا انتم بسورة مما يماثله ويجا
نسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل
عليه فهاتوا قرءانا من مثل محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على كون القرءان معجزا لما اشتمل عليه
من الفصاحة والبلاغة في طرفي الايجاز والاطالة فتارة ياتي بالقصة باللفظ الطويل
ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وايضا فارقت اساليبه اساليب الكلام
واوزانه اوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحيرت العرب فيه وعجزوا عنه وتحيروا
فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة واهل النظم والنثر من الاشعار
والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القرءان والله ان له لحلاوة وان عليه
لطلاوة وان اصله لمثمر وان اعلاه لمغدق وادعوا شهداءكم من دون الله اي استعينوا
بالهتكم التي تعبدونها من دون الله والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة
فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من امر محمد صلى الله عليه وسلم والا فاعلموا انكم
مبطلون في دعواكم الهية الهة وقيل معناه وادعوا اناسا يشهدون لكم ان كنتم صادقين
فان لم تفعلوا اي فيما مضى ولن تفعلوا فيما بقي وهذه دلت على عجزهم وانهم لم ياتوا
بمثله ولا بمثل شيء منه وذلك ان النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت
الوسع بالاتيان بمثل هذا القرءان او بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لاتوا به وحيث لم
ياتوا بشيء ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم اهل الفصاحة
والبلاغة والقرءان من جنس كلامهم وكانوا احرص على اطفاء نوره وابطال امره ثم مع هذا
الحرص الشديد لم يتوجهوا للمعارضة من احد منهم ورضوا بسبي الذراري واخذ الاموال والقتل
واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك
وجب ترك العناد وهو قوله تعالى فاتقوا النار اي فاحذروا واتقوا النار بالايمان التي
وقودها اي حطبها الناس والحجارة قال ابن عباس يعني حجارة الكبريت لانها
اكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل اراد
بها الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا
يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابا لهم في نار جهنم
اعدت اي هيئت للكافرين قوله عز وجل وبشر الذين ءامنوا اي اخبر المومنين
وهذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة اول خبر يرد على السامع يستبشر

به ويظهر

١٤

به ويظهر السرور في بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخبر والشر ومنه قوله فبشرهم بعذاب
اليم ولكن هو في السرور والخير اغلب وعملوا الصالحات اي الفعلات الصالحات وهي الطاعات
قيل العمل الصالح ما كان فيه اربعة اشياء العلم والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان
وعملوا الصالحات اي اخلصوا الاعمال يعني عن الرياء ان لهم جنات جمع جنة وهو البستان الذي فيه
اشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس
ما فيه كرم تجري من تحتها اي من تحت اشجارها ومساكنها الانهار اي تجري المياه في الانهار لان
الانهار لا تجري وقيل معناه تجري بامرهم وفي الحديث ان انهار الجنة تجري في غير اخدود اي في غير
شق والخد الشق كلما رزقوا اي اطعموا منها اي من الجنة من ثمرة رزقا اي طعاما قالوا هذا الذي
رزقنا من قبل اي في الدنيا وقيل ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فاذا رزقوا
ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى واتوا به اي بالرزق متشابها قال ابن عباس مختلفا في
الطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة لا رداءة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا في الاسم لا في
الطعم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يبولون
ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء
ورشح كرشح المسك وفي رواية ورشحهم المسك قوله يلهمون التسبيح اي يجري على السنتهم
كما يجري النفس فلا يشغلهم عن شيء كما ان النفس لا يشغل عن شيء قوله طعامهم جشاء يعني ان فضول
طعامهم يخرج في الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى ولهم فيها اي في الجنة ازواج
من الحور العين مطهرة يعني من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار وقيل هن عجايز بني ءادم الغمص
العمش طهرن من قذرات الدنيا وقيل طهرن من مساوي الاخلاق في الجنة ما شئن ولا ولد وهم فيها
خالدون اي لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقاء الدائم الذي لا انقطاع له عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم
الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبزقون ولا يتمخطون ولا يبولون امشاطهم الذهب
ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة الالوة عود الطيب ازواجهم الحور العين على خلق رجل واحد
لكل منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم
قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وعن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان للمومن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا للمومن فيها
اهلون يطوف عليهم المومن فلا يرى بعضهم بعضا عن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله مم خلق الله
الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الاذفر
وحصباؤها اللولو والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى
ثيابهم ولا يفنى شبابهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ليس اسناده بذلك القوي عن
عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين
كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون
العرش فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس اخرجه الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان في الجنة لسوقا ياتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم
فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله
لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا عن علي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن باصوات لم تسمع الخلائق
مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نباس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان